Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ II

نثنى الآن بقراءة معراج التابع المحمدى وصاحب النظر (٣٧) · يرد هذا المعراج ضـــمن باب « فى معرفة كيمياء الســـعادة » ، حيث يقوم ابن عربى ـ فى تمهيد الفصل ـ بتحديد مفهوم الكيمياء الطبيعية أولا فيرى أن الكيميا « هو العلم بالاكسير وهو على قسمين ـ أعنى فعله ـ أما انشاء ذات ابتداء كالذهب المعدنى ، واما ازالة علة ومرض كالذهب الصناعى الملحق بالذهب المعدنى ، كنشـــأة الآخرة والدنيا فى طلب الاعتدال · فاعلم أن المعادن كلها ترجع الى أصل واحد ، وذلك الأصل يطلب بذاته أن يلحق بدرجة الكمال وهى الذهبية · لكنه لما كان أمرا طبيعيا عن أثر أسماء الهية متنوعة الأحكام ، طرأت عليه فى طريقه علل وأمراض من اختلاف الأزمنة وطبائع الأمكنة مثل حرارة الصيف وبرد الشـــتاء ويبوسة الخريف ورطوبة الربيع ، ومن البقعة كحرارة المعدن وبرده · وبالجملة فالعلل كثيرة ، فاذا غلبت عليه علة من هذه العلل فى أزمان رحلته ونقلته من طور الى طور وخروجه من حكم دور الى حكم دور ، واستحكم فيه سلطان ذلك الموطن ، ظهرت فيه صورة نقلت جوهره الى حقيقتها فسمى كبريتا أو زيبقا » (٣٨) ·

ويوازن بين هذه الكيمياء الطبيعية وكيمياء السعادة ، فيما يسميه « وصل فى فصل » ـ تبعا لتقسيماته الخاصة ـ فيجعل الانسان ساعيا أيضا نحو الكمال الموازى للذهبية فى الكيمياء الطبيعية · والكمال المطلوب الذى خلق له الانسان ـ عند ابن عربى « انما هو الخلافة ، فأخذها آدم بحكم العناية الالهية » (٣٩) · وهنا يفرق ابن عربى بين الخلافة والنبوة والملك ، اذ الرسول عليه التبليغ خاصة ، وليس له التحكم فى المخالف ، فاذا أعطاه الله التحكم فهو الخليفة · أما الملك فهو التحكم من غير نبوة · والكمال يمكن السعى لاكتسابه أما النبوة فلا ·

ومن هذا المنطلق تسعى النفوس نحو الكمال ، اذ خلقت كلها من معدن واحد · ومن هنـــا تأتى المقارنة بين النفس والمعدن من الناحية الكيميائية · « فلما كان أصل هذه النفوس الجزئية الطهارة من حيث أبوها (٤٠) ولم يظهر لها عين الا بوجود هذا الجسد الطبيعى ، فكانت الطبيعة الأب الثانى ، خرجت ممتزجة فلم يظهر فيها اشراق النور الخالص المجرد عن المواد ، ولا تلك الظلمة الغائية التى هى حكم الطبيعة ، فالطبيعة شـــبيهة بالمعدن ، والنفس الكلية شـــبيهة بالأفلاك التى لها الفعل وعن حركتها يكون الانفعال فى العناصر · والجسد المكون فى المعدن بمنزلة الجسم الانسانى · والخاصية ـ التى هى روح ذلك الجسد المعدنى ـ